كرام الأنام

ليس الكريم الذي يعطيك نائلهُ ولا الحكيم الذي يتلو مواعظهُ . ان الكريم مَن يأخذ بيدك ويعينك على رفع شأنك والحكيم من يسير امامك في طريق الهدى ويقربك باتباع سنن الصلاح. والناس رؤساء ومرؤوسون من اول عهدهم واذا ساويت بينهم اليوم عادوا الى التخالف غدًا. والمساواة التي يحلم بها الاشتراكيون ان تتحقق في هذهِ الدنيا . ولكن لو انصف الرؤساء انفسهم وعدلوا برؤوسهم وعاملوهم بالحسنى وساعدوهم على رفع شأنهم لخفت المتاعب وتساوى الناس في محبة الحياة والتمتع بها. وهذا غاية ما يدركهُ الناس في هذهِ الحياة الدنيا ولو نظر المرؤوسون الى رؤسائهم بعين المحبة وصدقوهم الخدمة وسعوا في خيرهم كما يسعون في خير انفسهم لنفعوهم وانتفعوا منهم . وهذهِ الاحكام المجرَّدة لا تفيد القارئ فائدة حقيقية وقد لا يتجلى له مرادنا منها فلا بدَّ لنا من ان نشفعها بالامثال والنوادر ممَّا وقفنا عليهِ في كتب القوم لعلها تستفزُّ ادل الهمم وتصيب الغاية مكانها من صدور ذوي الشيم

المثال الاوَّل بيت أشورث اصحاب معامل الغزل في اغرتن واغربي المجديدة ببلاد الانكليز* فهذا البيت كان مستخدمًا عددًا غفيرًا من العملة فبنى مدرسة لاولادهم لكي يتعلم فيها الاولاد في النهار والشبان في الليل واستخدم لهم مهرة المعلمين . ثم انشأ لهم مكتبة وغرفة لمطالعة الجرائد وعيَّن لهم ساحة للالعاب الجسدية ولم يبح لاحدٍ ان يفتح حانًا في كل تلك النواحي ولا استخدم في معاملهِ احدًا من الذين يشربون المسكر . ثم بنى بيوتًا لسكنى العملة وجعلها في منتهى الإحكام والاتساع بالنسبة الى اجرتها واجرهم البيت منها بعشرين غرشًا في الاسبوع مع ان في البيت منها ثلاث غرف ارضية واثنتين او ثلاثًا علوية . وكانت اجرة العامل عندهُ من خمسة وثمانين الى مئتي غرش في الاسبوع واجرة العاملة نحو ثمنية غرش. وقد كانت اجرة العامل وزوجتهِ واولادهِ تبلغ نحو مئتي ليرة في السنة

فكانت نتيجة عملهِ ان العملة استوطنوا ذلك المكان هم واولادهم من بعدهم واشتد تعلقهم ببيت اشورث وامانتهم لهُ فلم يرتكب احدهم ذنبًا على مر السنين . وزادت ارباح بيت اشورث وجمعوا ثروةً وافرة . ونبغ النبهاء من العَمَلة وصاروا مدراء المعامل او جمعوا ما يكفي من المال لمشاركتهم اصحابها فيها

المثال الثاني تيطس سُلت الملقَّب بملك العمال * وكان في بادئ امرهِ فلاَّحًا شديد التعلق بالفلاحة حتى خيَّل لهُ انهُ لن يعدل عنها الى غيرها ولكنهُ شارك اباهُ في تجارة الصوف .

ولما رأى حاكة الصوف يكثرون في تلك البلاد ترك الفلاحة وانفصل عن ابيه وانشأ معملاً لغزل الصوف وهو اول من غزل صوف الألبكا ونسجه فجمع بذلك ثروة وافرة وعزم ان يعتزل الاعمال حينما يناهز الخمسين من العمر. ثم عدل عن عزمه وبنى معملاً عظيماً استخدم لهندسته اشهر المهندسين واطلق يدهم في اتقانه حتى يصير مثالاً للمعامل واتفق على بنائه مئة واربعين الف ليرة استرلينية. ويظهر اتساع هذا المعمل من ان طول الغرفة الكبرى التي فيه خمس مئة وخمسون قدماً ومساحة الارض التي فيها دار النساجة فدانان مربعان. ولما افتتح هذا المعمل دعا اليه ثلاثة آلاف وخمس مئة نفس واولم لهم وليمة في دار تمشيط الصوف ثم خاطبهم مرحباً بهم فقال "ان عواطفي تهيج عند رؤية هذا الحفل الحافل بالاشراف والاصدقاء عموماً والعمال خصوصاً. ورجائي ان يجتمع حولي كثيرون ليتمتعوا بمحاسن هذا المكان فاني قد اطلقت يد المهندسين والبانين في اتقانه وترتيبه ليكون مثالاً للمباني التي من نوعه واملي اذا طال عمري ان لا ارى فيه الاّ اناساً مكتفين عائشين بالراحة والرفاهة"

ولما ذاع صيت هذا المعمل وطلبت الحكومة الفرنسوية من صاحبه ان يصفه لها كتب اليها يقول "اني انشأته ولم احسب ان احداً يعيبه" والذين يعرفون المعمل جيداً يقولون انه غاية في الإحكام والاقتصاد فلا يضيع فيه قوة ولا مادة. ولم يكتفِ بانشاء المعمل بل بنى كنيسة للعملة ومدارس لاولادهم وحمامات ومغاسل ومستشفى وبيتاً للمتقاعدين. ولما كان عدد العملة ثلاثة آلاف نفس بنى لهم سبع مئة وستة وخمسين بيتاً واجرهم اياها بمائها وغازها باجر بخسة وجعل في كل بيت منها ثلاث غرف للنوم وغرفة كبيرة للاستقبال ومطبخاً وغرفة للمؤنة وحول كل بيت ساحة فسيحة للعب والتنزه. فتهذبت عقول العمال واقبلوا على درس العلوم والفنون في اوقات الفراغ وكانوا يتسلون بدرس التاريخ الطبيعي وتصوير الحيوانات وعمل الآلات الفلسفية والموسيقية ونحوها. وتربوا على الاقتصاد فكانوا يدخرون ما يزيد عن نفقاتهم في بنك الاقتصاد او يسلمونه لمن يعمل بواعياً لاّ جزيلة الارباح فيربحون به. وتوفرت لهم اسباب التهذيب والبسط والهناء من مثل قاعة للخطب والمحاورات ودار للتحف وجمعيات للصيد والتجذيف فزادوا تهذباً في اخلاقهم ورغبةً في اعمالهم ولم يفشُ بينهم مرض من الامراض الناتجة للفقر والعسر او للاسراف والبطر والفضل في ذلك كله لمديرهم توطس سلّت

المثال الثالث ادورد اكرويد ٭ وكان لهذا معامل متسعة بفرب دلينكس ببلاد الانكليز فيها اربعة آلاف عامل. فبنى لبعضهم بيوتاً واعان الآخرين على ابتناء البيوت لانفسهم واقام لهم مدارس كبيرة واستخدم لها مهرة المعلمين وانشأ لهم جمعية علمية ادبية ومكتبة وضع فيها خمسة آلاف مجلد

وقاعة للموسيقى الى اليها بخبة الكتب الموسيقية واعطاهم ارضًا واسعة قسمها بينهم واجر كلاً منهم قطعة ليتمارنوا في زراعة الاثمار والخضر والازهار وكان يعطي الاجرة التي ياخذها منهم جوائز للذين يفوقون غيرهم في اتقان الزراعة وكان كل ما يفعله بهم يأول الى ترقية شأنهم الادبي والمادي. ومن اعظم الاعمال التي عليها وأجزلها نفعًا للعمال بنك الاقتصاد الذي انشأهُ سنة ١٨٥٣ فانهُ ربّى فيهم وفي بنيهم ملكة الاقتصاد والذخر للمستقبل والاستعداد للحاجة فاثمرهُ البرلمنت الانكليزي ثم أُنشئ بنوك كثيرة مثلهُ في البلاد الانكليزية

هذا مثال الكرام الذين يستفيدون باعمالهم ويفيدون ابناء جنسهم. فأين الذين يُضرَب المثل بجودهم وكرمهم من هؤلاء الاكارم. ان اولئك غنموا اموال غيرهم وانفقوها على البذخ والترف فاتسع للناس نطاق المكارم وكثر ارتكابهم لها واما هؤلاء وامثالهم فقد رفعوا شأن أُمتهم وفتحوا لها الى الثروة والمجد سبيلاً

وانما الفضلُ بفعلي وكَرَم وخُلُقي حُرّ وجُودٍ مقتَسَم

قياس النيل

ان كثيرين يقرأون مقدار زيادة النيل كل يوم ولا يعلمون سبب الفرق بين مقياس اصوان ومقياس الروضة في الدلالة على ارتفاع ماء النيل ولا الحد الذي يقاس الارتفاع عنهُ ولا كيفية القياس بل يكتفون بمعرفة المقياس الذي يكفي لري البلاد والذي يخشى عندهُ القحط والظمأ او الغرق والخراب

على ان عددًا غفيرًا من نبهاء القراء لا يكتفون بهذه المعرفة القاصرة ولذلك انهالت مسائلهم علينا انهيالاً من كل ناحية فرأينا ان نجاوب عليها اجمالاً بالايضاح التالي حبًّا بالاختصار ومراعاةً لضيق المقام فنقول: —

اذا قيل ان زيادة النيل بلغت هذا العام ٢٥ ذراعًا بمقياس الروضة فليس المراد من ذلك ان ارتفاع الماء من قعر النيل الى سطحهِ هو ٢٥ ذراعًا كما يوهم ظاهرهُ بل ان الارتفاع اقل من ذلك كثيرًا. وبيانهُ ان القدماء كانوا يحسبون ان البلاد تستوفي ريها متى بلغ النيل ست عشرة ذراعًا فوق الصفر والصفر كان في زمانهم يطابق القعر على وجه التعديل واما في زماننا هذا فقد تغيّر قعر النيل كثيرًا عمّا كان عليهِ في زمانهم حتى صارت اراضي الوجه البحري والقبلي ايضًا تستوفي ريها متى بلغ ارتفاع النيل اقلّ من ذلك كثيرًا عن قعرهِ. ولا يصدق حكم القدماء